

الشَّاهِدُ الْقُرْآنِيُّ وَأَهْمِيَّةُ تَوْظِيفِهِ فِي تَيْسِيرِ تَعْلِيمِيَّةِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ
نَمَازِجُ مُخْتَارَةٍ مِنْ كِتَابِ "النَّحْوُ الْمَيْسَرُ وَشَوَاهِدُهُ الْقُرْآنِيَّةُ" لـ "عَصَامِ النَّجَّارِ"
The Qur'anic witness and the importance of using it in facilitating
the teaching of Arabic grammar
Selected examples from the book "Simplified Grammar and its
"Qur'anic Evidence" by "Issam Al-Najjar

محمّد يزيد سالم *

جامعة باتنة 1

مخبر أبحاث في التراث الفكري والأدبي بالجزائر

mohamedyazid.salem@univ-batna.dz

تاريخ القبول: 2024- 05-07

تاريخ الإرسال: 2024- 03-01

ملخص:

أصبح من الضروري تقديم النحو العربي في ثوب تعليمي مقنن وميسر، ويتطلب هذا الأمر -بطبيعة الحال- إعادة النظر في جملة أمور من بينها الشواهد التي ينبغي أن تكون موضحة للقاعدة وخادمة لها، ولا شك أن النص القرآني الشريف هو اللغة العالية التي جاءت في أرق أسلوب وبأفصح تركيب.

وعليه؛ سنحاول في بحثنا هذا تقييم وتقويم الجهد المشكور الذي قدّمه الدكتور القدير "عصام النجار" في كتابه "النحو الميسر وشواهد القرآن" الذي يعد بحق -كتاباً نحوياً تعليمياً جمع فيه صاحبه بين النظرية والتطبيق بطرق مبتكرة، مستشهداً في كلّ باب بآية أو عدة آيات من الذكر الحكيم، وتبيان أهمية الاستفادة الممكنة من هذا النموذج وأمثاله في تلقين المتعلمين قواعد النحو الذي هو ميزان اللغة العربية القويم. الكلمات المفتاحية: التيسير؛ التعليميّة؛ النحو؛ الشاهد؛ القرآن.

Abstract:

It has become necessary to present Arabic grammar in a didactic codified and facilitated guise, and this requires a review things of among it the example that should be a clarifying and servicing to the rule, and

*-المؤلف المراسل.

there is no doubt that the noble Qur'an text is the high language that came in the finest style and the clearest syntax.

and In this research, we try to evaluate and criticize the good effort presented by Dr. Essam Al-Najjar in the book "the facilitated grammar", which is a didactic grammatical book in which he combined theory and practice in innovative ways, citing in each chapter with a verse or several verses from the Holy Quran, and showing the importance of benefiting from this model and its proverbs In teaching learners the grammar of grammar which is the balance of the Arabic language.

Keywords: The facilitation; The didactic; The grammar; The example; The holy Quran.

مهّاد:

لا جرمَ أَنَّ سببَ نشأة النحو كان لحفظ لغة خير كتاب أنزل على النَّاسِ، وصيانة الألسنة من الوقوع في الخطأ والزَّلَل، والحيلولة دون الحَيْدِ عن انتحاء سمت العرب في كلامها. كما أَنَّ مردَّ نشأته أيضا يرجع إلى الحاجة المُلحَاخَة لوضع العلوم والفنون المختلفة وتقنيها، وتقييدها في الصَّحَائِفِ والكتبِ، ثمَّ الاستعانة بما حوته من معارفَ مجملَة ومفصَّلة فيُلَقِّن الطلاب العلوم والمعارف.

والقرآن الكريم هو اللّغة العالية السَّامقة التي تخضع لها ألسنة الفُصحاء، ويقصر عن الإتيان بمثلها جهابذة البلُغاء. فهذا المعقول من منقول لا بدَّ أن يُجعلَ من القرآن الكريم المنهل الذي يُستقي منه شواهده، ويستنطق من معينه قواعده، وكان ذلك في البداءة؛ إذ نلفي سيبويه (ت180هـ) أورد في كتابه زهاء الأربعمئة آية من أيِّ الذِّكر الحكيم، ثم جاء النَّحَّارير من بعده فقلَّلوا الاستشهاد بالنَّصِّ القرآني، حتَّى كاد ينعدم ذلك ويتلاشى، لكنَّ النِّحاة المتأخِّرين كابن مالك (ت672هـ)، وابن هشام (ت761هـ) أحيوا هذا النَّهْج.

وما يهمنّا هو واقع النَّحو في العصر الحديث الذي أُلّف فيه قدر معتبر من الكتب الوازنة التي حاولت تبسيط الأطروحات النَّحْوِيَّة العِلْمِيَّة وتقديمها في أبسط صورة وأيسر طريقة؛ بحيث تُقَرَّب هذا العلم النَّفيس من أذهان المتعلِّمين، حتَّى يجدوا طُلُبَّهم في طلبه، ويسعوا إلى اكتسابه بجِدٍّ وكَدٍّ، ويُلْقُوا وراء أظهرهم الأفكار الباليَّة التي جنت عليه،

ورسمته في صورة العلم المعقّد، بعيد المجتنى، صعب المرتقى، ولم يكن يوما كذلك؛ وإنّما علّة الخيبة في طريقة عرضه وتقديمه، ومناهج تدريسه وتلقينه. وبما أنّ ما يقدّم في الحصص لم يعد كافيا للمتعلم كي يحذق علم النّحو ويمتلك ناصيته؛ فلا مناص- حينئذٍ- من الاستعانة بالكتب التّعليميّة الخارجيّة التي تكون موضّحة ومبيّنة ومفسّرة، ثمّ متوسّعة وممثلة بأحسن الأمثلة التي تعين على ترسيخ الباب النّحويّ في ذهن المتعلّم، مثل كتاب "النّحو الميسّر وشواهد القرآنيّة" لـ "عصام النجار"؛ الذي اعتمد نهج توظيف الشّاهد القرآني، وهو ما سنتناوله بالدراسة في بحثنا هذا محاولين الإجابة عن جملة سوّالات؛ من قبيل:

- ✓ ما المقصود بتيسير تعليم النّحو؟
- ✓ ما هي البدايات الأولى لنشأة تيسير تعليم النّحو؟
- ✓ كيف نظر المحدثون إلى تيسير تعليم النّحو؟
- ✓ كيف عرض صاحب كتاب "النّحو الميسّر" للشواهد القرآنيّة؟
- ✓ ما الفوائد والفرائد التي يقدّمها هذا الكتاب للمتعلم؟

1- مفهوم التّيسير النّحوي:

إنّ أوّل ما يُصادف الباحث في مفهوم "تيسير النّحو" ظاهرتان هما⁽¹⁾:

الأوّل: اختلاف الدّاعين إليه، والمهتمين به في مفهومه، فمنهم من يراه: «الالتزام بطرائق التّدريس التّربوي وتبويب النّحو تبويبا حديثا»⁽²⁾. ومنهم من يراه: «معالجة منهج النّحو معالجةً حديثة على وفق مناهج البحث اللّغوي: الوصفية، والمقارنة، والتّاريخيّة»⁽³⁾. ويرى

(1)- ينظر: هادي نهر، (1432هـ)، دراسات في اللّسانيات: ثمار التّجربة. (د، ط)، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن. ص243.

(2)- ساطع الحصري، (1958م)، آراء وأحاديث في اللغة والأدب، (د، ط)، دار العلم، بيروت، لبنان، ص110.

(3)- مهدي المخزومي، (1377هـ/1958م)، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغة والنّحو، ط2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ص399.

الشَّاهِدُ الْقُرْآنِيُّ وَأَهَمِّيَّةُ تَوْظِيْفِهِ فِي تَيْسِيرِ تَعْلِيمِيَّةِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ
نَمَازِجٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ كِتَابِ "النَّحْوِ الْمَيْسَرِ وَشَوَاهِدُ الْقُرْآنِيَّةِ" لـ "عصام النَّجَّار"

فيه آخرون-أي التيسير النحوي-: «القضاء على كل صعوبة في النحو مما يستدعي النظر من جديد في قضايا التركيب والإعراب»⁽⁴⁾. أو «اختيار الأسهل من آراء القدماء»⁽⁵⁾. أو «تجريد النحو من الدخائل العقلية كالفلسفة، والمنطق، ونظرية العامل وغير ذلك»⁽⁶⁾. أو هو «محاولة لتقريب النحو للناشئة ولغير المتخصصين من المثقفين»⁽⁷⁾. أو هو «محاولة إعادة النظر في القواعد النحوية القديمة وطرحها بأسلوبٍ علمي رصين في ضوء التراث»⁽⁸⁾. أو هو «تغيير في الأحكام والقواعد بحيث تحصل السهولة المطلوبة، إذ إنَّ غاية التيسير؛ التسهيل والقضاء على كل صعوبة وعسر وهو يجب أن لا يمس التركيب والإعراب»⁽¹⁾. وعرفه "عباس حسن" بقوله: «ولا سبيل لتيسيره وتهذيبه إلا بعد القضاء عليها- عيوب النحو- ويومئذٍ يمكن اختصاره بحذف الفضول من أبوابه ومسائله وإدماج بعض آخر وإدماج بعض آخر، ثمَّ الاقتصار على بعض منها للشاديين، إن أردنا، ثمَّ عرض ما نستصفيه عرضًا شائعًا جذابًا بإحدى الطرق المستحدثة الناجعة؛ فيجد الناشئة والراغبون في النحو ما يجدونه في العلوم الأخرى التي تجذبهم، وتستهيو ألبابهم، فتزيد الرغبة، وتعم الفائدة، ويتحقق الغرض من دراسة هذا العلم الأساسي الجليل»⁽²⁾. وعرفه "عبد الرحمن الحاج صالح" بأنَّه: «تكييف النحو والصرف مع المقاييس التي

(4)- أنيس فريحة، (1982م)، تبسيط قواعد اللغة العربية وتبويبها على أساسٍ منطقيٍّ جديدٍ، (د، ط)، بيروت، لبنان، ص 17.

(5)- مصطفى السقا، أبوزكريا الفراء ونحو التيسير، ص 7. نقلًا عن: هادي نهر، دراسات في اللسانيات: ثمار التجربة، ص 243.

(6)- أحمد مطلوب، لغتي، ص 116. نقلًا عن: هادي نهر، دراسات في اللسانيات: ثمار التجربة، ص 243.

(7)- حسن منديل العكيلى، (2012م)، محاولات التيسير النحوي الحديثة، دراسة وتصنيف وتطبيق، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 115.

(8)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(1)- حسن منديل العكيلى، (2012م)، دراسات نحوية، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 119.

(2)- عباس حسن، (1966م)، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف، (د، ط)، مصر، ص 219.

تقتضيها التربية الحديثة عن طريق تبسيط الصورة التي تُعرض فيها القواعد على المتعلمين، فعلى هذا ينحصر التيسير في كَيْفِيَّة تعليم النَّحو، لا في النَّحو ذاته»⁽³⁾.

الثانية: اختلاط مفهوم التيسير بمفاهيم ومصطلحات أخرى، تبدو أحياناً- وهي ليست كذلك- مرادفةً لمفهوم التيسير التيسير، منها على سبيل المثال مصطلح (التَّجديد)⁽⁴⁾.

أمَّا بقية المصطلحات من نحو: (الإحياء، والإصلاح، والتَّعديل)؛ فهي لا تختلف كثيراً في مفاهيمها وأهدافها عن التيسير، ولا تعدو أن تكونَ تمهيداً لها، سواء تناول الإحياء أو الإصلاح أو التَّعديل أو المنهج أو الكتاب أو طرائق التَّدریس⁽⁵⁾. ولم تكن المصطلحات السابقة مقبولة كلُّها لدى أصحاب التيسير، فبعضهم يرفض مصطلح (الإصلاح)؛ لأنَّه يعني عنده أنَّ النَّحو فاسد يحتاج إلى إصلاح، ويرفض مصطلح (التَّجديد)؛ لأنَّه يعني أنَّ النَّحو يجب تجديده في حين كان الأستاذ "عبد الكريم خليفة" يفضِّل استخدام مصطلح (التَّجديد) بدل مصطلح (التيسير)⁽¹⁾.

ويرى الباحث "حسن منديل العكيلي" أنَّ هناك فرقاً جوهرياً بين مصطلح (التيسير) ومصطلح (التَّجديد)، فالتيسير النَّحوي «هو تقديم النَّحو مبرراً من العلل والتَّفريعات

(3)- عبد الرحمن الحاج صالح، (1974/1973م)، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات (مجلة في علم اللسان البشري)، الجزائر، ع4، ص22-23.

(4)- دعا أصحاب هذا الاتجاه إلى «تجاوز فكرة التيسير إلى أبعد من ذلك للوصول إلى تغيير في المنهج والإتيان بنحوٍ جديد، ولا يعني دائماً الانسلاخ من القديم والعزوف عنه برمته، بل هو محاولة لتفسير القديم تفسيراً جديداً يلائم العصر، ويبقى على القديم وهذا ما فعله عبد الستار الجواري وغيره من أصحاب التيسير». ينظر: نعمة رحيم الغزاوي، (1989م)، جهود الدكتور الجواري في تجديد النحو وتيسير، ج2، مجلة الضاد، كانون الثاني، ص25.

(5) - ينظر: الاتجاهات الحديثة في النَّحو (من أعمال مؤتمر مفتشي اللغة العربية)، دار المعارف، مصر، 1985م، ص90.

(1)- لمزيد من التفصيل؛ ينظر: عبد الكريم خليفة، (1407م/1986م)، تيسير العربية بين القديم والحديث، ط1، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، ص91.

الشَّاهِدُ الْقُرْآنِيُّ وَأَهْمِيَّةُ تَوْظِيْفِهِ فِي تَيْسِيرِ تَعْلِيمِيَّةِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ
نَمَازِجٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ كِتَابِ "النَّحْوِ الْمَيْسَرِ وَشَوَاهِدُ الْقُرْآنِيَّةِ" لـ "عصام النَّجَّار"

والتَّأْوِيلَاتِ سَهْلِ التَّنَاولِ قَرِيبِ الْمَأْخِذِ مِنْ أَذْهَانِ الْمُتَعَلِّمِينَ. أَمَّا التَّجْدِيدُ؛ فَهُوَ تَغْيِيرٌ فِي النَّظَرَةِ وَمَنْهَجِ الْبَحْثِ وَطَرَائِقِهِ وَفِيهِ إِفَادَةٌ مِنْ مَنَاجِجِ الدَّرْسِ اللَّغْوِيِّ عِنْدَ الْغَرَبِيِّينَ»⁽²⁾.

2- الْبَدَايَاتِ الْأُولَى لِتَيْسِيرِ النَّحْوِ عِنْدَ النُّحَاةِ الْقَدَامَى:

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ النُّحَاةَ الْعَرَبِ الْقَدَامَى قَدْ سَبَقُوا الدَّارِسِينَ الْمُحَدِّثِينَ فِي مُحَاوَلَاتِ تَيْسِيرِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ بِكُلِّ أَشْكَالِهِ وَصُورِهِ، «وَقَدْ وَجَدْنَا أَكْثَرَ مَقْتَرَحَاتِ أَصْحَابِ التَّيْسِيرِ الْمُحَدِّثِينَ لَهَا أَصُولٌ قَدِيمَةٌ، حَتَّى أَتَيْنَا نَجْدَ الشُّكَاوَى الَّتِي ظَهَرَتْ فِي بَدَايَةِ هَذَا الْقَرْنِ مِنْ صَعُوبَةٍ فِي تَعْلَمِ النَّحْوِ وَالنَّفُورِ مِنْهُ نَجْدٌ لَهَا مَا يَشَابُهَا فِي تَارِيخِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ التَّلِيدِ، وَنَجْدٌ أَيْضًا عَنْدهُمْ- النُّحَاةِ الْقَدَامَى- النِّقْدُ النَّحْوِيُّ الَّذِي وَجَّهَهُ أَصْحَابُ التَّيْسِيرِ لِلْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ الْيَوْمِ، كَمَا نَجْدٌ عَلَى مَدَى تَارِيخِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ دَعَوَاتٌ كَثِيرَةٌ وَصِيحَاتٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا مَا يَدْعُو إِلَى تَهْذِيبِ النَّحْوِ وَإِصْلَاحِهِ، وَمِنْهَا مَا يَدْعُو إِلَى تَرْكِهِ وَالتَّخْلِي عَنْهُ بِالْكَلِيَّةِ، وَمِنْهَا مَا كَانَ يَعْبرُ عَنْ سَخَطٍ وَضَجْرٍ»⁽³⁾.

وَقَدْ تَمَيَّزَ الْقَرْنُ الرَّابِعُ الْهَجْرِيُّ بِظُهُورِ الْمُصَنِّفَاتِ الْعِلْمِيَّةِ «إِذْ وَكَبِ الْمَنْهَجُ التَّعْلِيمِيُّ فِي تَيْسِيرِ النَّحْوِ وَتَسْهِيلِ تَعْلِيمِهِ الْمَنْهَجَ الْعِلْمِي الَّذِي يَغُوصُ فِي دَقَائِقِ الْمَعْرِفَةِ بَحْثًا وَتَحْلِيلًا، وَرَبَّمَا لَا نَعْدُو الْحَقِيقَةَ إِذَا قُلْنَا: إِنَّ الْوَسَائِلَ التَّعْلِيمِيَّةَةَ قَدْ أَرَسَتْ دَعَائِمَ النَّحْوِ التَّعْلِيمِيِّ وَقَوَاعِدَهُ الْأَسَاسِيَّةَ، وَإِنَّ الْوَسَائِلَ التَّعْلِيمِيَّةَةَ الْمُتَطَوِّرَةَ عِبْرَ الْقُرُونِ، تَهْدَفُ إِلَى إِغْنَاءِ هَذِهِ الْأَسْوَاسِ وَجْعَلِهَا أَكْثَرَ حَيَوِيَّةً وَأَسْهَلَ تَعْلَمًا وَأَقْرَبَ إِلَى نَفُوسِ النَّاشِئِينَ مِنْ شِدَاةِ هَذَا الْعِلْمِ»⁽¹⁾.

كَمَا شَهِدَ الْقَرْنُ الرَّابِعُ وَالْقَرْنُ الْخَامِسُ: «وَضَعِ الْمُصَنِّفَاتِ التَّعْلِيمِيَّةَةُ الَّتِي تَهْدَفُ إِلَى تَيْسِيرِ الْعَرَبِيَّةِ- وَعَلَى رَأْسِهَا عِلْمُ النَّحْوِ- وَتَسْهِيلِ تَعْلَمِهَا، وَكَذَلِكَ وَضَعِ أَهْمَ الْمَعَايِيرِ النَّظَرِيَّةِ لِلْمَفْهُومِ التَّعْلِيمِيِّ لِلنَّحْوِ وَقَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهَذِهِ الْمُصَنِّفَاتِ تَكُونُ بِحَقِّ الْإِطَارِ الْوَاقِعِيِّ

(2)- حَسَنُ مَنَدِيلِ الْعَكِيلِيِّ، مُحَاوَلَاتُ التَّيْسِيرِ النَّحْوِيِّ الْحَدِيثَةِ، دَرَاةٌ وَتَصْنِيفٌ وَتَطْبِيقٌ، ص 7.

(3)- يَنْظُرُ: الْمَرْجِعُ نَفْسَهُ، ص 33-34.

(1)- عَبْدُ الْكَرِيمِ خَلِيفَةُ، تَيْسِيرُ الْعَرَبِيَّةِ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، ص 71

لجميع الدراسات التي جرت من ذلك الوقت حتى العصر الحديث من أجل تيسير النّحو وتسهيل تعلم العربية»⁽²⁾.

ولا تثريب علينا إذا قلنا: إنّ أوّل من اعترف بصعوبة علم النّحو ودعا إلى تيسره - على الرغم من امتلاكه لخاصية هذا العلم- هو عمرو بن بحر المعروف بـ "الجاحظ" (ت255هـ) عندما قال: « قلتُ لأبي الحسن الأخفش: أنتَ أعلمُ النَّاسَ بالنحو فلمَ لا تجعلُ كُتُبَكَ مفهومةً كلّها، وما بالنّا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها، وما بالك تقدّم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم. قال: أنا رجلٌ لم أضع كُتُبِي هذه لله، وليست هي من كتب الدّين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه، قلّت حاجاتهم إليّ فيها، وإنّما كانت غايي المئالة فأنا أضعُ بعضها هذا الوضع المفهوم لتدعوهم حلوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا، وإنّما قد كسب في هذا التدبير، إذ كنتُ إلى التّكسّب ذهبتُ»⁽³⁾.

ثمّ جاءت محاولة "ابن مضاء القرطبي" (ت592هـ) في كتابه الثمين "الرّد على النّحاة" الذي أحدث به ضجة كبيرة، حيثُ «لم يسبقه عن نهجه المتكامل عن أصول النّحو أحدٌ قبله»⁽⁴⁾. وقد رام من خلال كتابه وضع نموذج جديد لوصف اللغة العربية والتفعيد لها، يقول في هذا الصّدّد: «قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النّحو ما يستغني النّحويّ عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه»⁽¹⁾.

ولكن عمله هذا ليس انتقاصاً من جهود القدامى ولا خطأ من قيمة ما قدّموه، يقول: « وإني رأيتُ النّحويين- رحمة الله عليهم- قد وضعوا صناعة النّحو لحفظ كلام

(2)- المرجع نفسه، ص78.

(3)- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت255هـ)، (1384هـ/1965م)، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ج1، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، القاهرة، مصر، ص91.

(4)- خلف الأحمر (خلف بن حيان البصري ت180هـ)، (1381هـ/1961م)، مقدمة في النّحو، تحقيق: عز الدين التّنوخي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، سوريا، ص33.

(1)- ابن مضاء القرطبي (أحمد بن عبد الرحمن ت592هـ)، (1366هـ/1947م)، الرّد على النّحاة، تحقيق: شوقي ضيف، ط1، دار الفكر العربي، مطبعة لجنة التّأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ص85.

الشَّاهِدُ الْقُرْآنِيُّ وَأَهْمِيَّةُ تَوْظِيْفِهِ فِي تَيْسِيرِ تَعْلِيمِيَّةِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ
نَمَازِجٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ كِتَابِ "النَّحْوِ الْمَيْسَرِ وَشَوَاهِدُ الْقُرْآنِيَّةِ" لـ "عصام النَّجَّار"

العرب من اللّحن، وصيانتته عن التّغيير، فبلغوا من ذلك الغاية التي أُمّوا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا، إلّا أنّهم التزموا ما لا يلزمهم، وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوا منها، فتوعّرت مسالكها ووهنت مبانيها، وانحطّت عن رتبة الإقناع حججها»⁽²⁾.

وقد بنى "ابن مضاء" نظريته في التيسير على رفض نظرية العامل والمعمولات حتى يتخلّص النّحو من كلّ ما دخل فيه من تأويل النصوص، ومن علل وأقيسة وتمازين افتراضية. وقد قيل: «ليس عجيباً أن يتصدى ابن مضاء لنقد النّحو العربي فالحق أنّه لم يكن يقصد هدم النّحو لذاته، وإنّما كان يهدف إلى هدمه باعتباره وسيلةً لفهم الفقه المشرقي الذي اشترك هو أيضاً في هذه الثورة عليه»⁽³⁾.

وعلى الرغم من أهميّة تلك الدّعوة، فإنّها بقيت محدودة الأثر والتّأثير، حتى إنّنا نجد مصنفات مثل "أوضح المسالك" و"مغني اللّبيب" لابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، و"شرح المفصل للزمخشري" لابن يعيش الموصلي (ت 643هـ) وغيرها من الكتب على أهميتها وسعتها، لا تأتي على ذكر ابن مضاء مطلقاً⁽⁴⁾.

3- تيسير تعليم النّحو عند الدّارسين المحدثين:

إنّته وعلى الرغم من كثرة المحاولات ومقترحات التيسير عند القدامى التي تدل على أنّ اهتمامهم كان لا يقل عن اهتمام المحدثين، لكن محاولاتهم ومقترحاتهم الكثيرة قد تفرقت في تاريخ طويل من تاريخ النّحو العربي، فإنّ محاولات المحدثين قد تجمّعت في زمن محدود لا يتعدّى نصف قرن، حيث أصبح البحث في التيسير النّحوي في القرن العشرين اتجاهاً سائداً وظاعياً على التّفكير النّحوي عند المعاصرين المتخصصين في الدّراسات اللّغوية عموماً، والنّحوية خصوصاً، ولغيرهم ممّن لم يكوّنوا على بيّنة ودراية بأبعاد المادّة

(2)- المصدر نفسه، ص 80.

(3)- حازم سليمان الحلي، (1996م)، تيسير النّحو إلى عصر ابن مضاء القرطبي، مجلة اللّسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، جامعة الدول العربية، ع 41، ص 54.

(4)- ينظر: ياسين أبو الهيجاء، (1429هـ/2008م)، مظاهر التّجديد النّحوي لدى مجمع اللغة العربية بالقاهرة حتى عام 1984م، ط 1، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، إربد، عمان، الأردن، ص 220.

الموضوعية للنحو العربي أصولها وفروعها ومصطلحاتها، وتاريخ بدء الاختلاف فيها وصار أيضاً ميداناً لجهود كثير من المراكز العربية العلمية، وغير العربية التي عُنت بالتييسير من غير أن يكون بينها اتصال ينسق جهودها، ويُنظّم أعمالها، ممّا جعل الباحث في مصادر التيسير أمام صعوبة بالغة في التمييز بين المحاولات التيسيرية وغيرها إذا اختلطت أعمال من دعوا إلى التيسير النحوي بأعمال من اهتموا بطرائق التدريس، أو بالدعوة إلى تجديد المناهج بإدخال مناهج لغوية حديثة في المعاهد والجامعات⁽¹⁾.

وقد أرجع بعض الباحثين كثرة محاولات التيسير النحوي في العصر الحديث إلى سببين رئيسيين هما⁽²⁾:

الأول: أن التيسير النحوي في مطلع النهضة اللغوية الحديثة أصبح اتجاهًا سائدًا على التفكير النحوي المعاصر، لا سيما في العقود الثلاثة الأخير من هذا القرن الرابع والخامس والسادس، فقد أصبح التيسير النحوي سمة العصر في الدراسات النحوية مثلما طبعت سمات أخرى الدراسات النحوية في عصور مختلفة وغطت على غيرها من أنشطة تلك العصور، مثل عصر المتون والشروح، ثم عصر الحواشي، إضافة إلى عصر ارتباط النحو بالفقه وغير ذلك.

الثاني: أن مجموعة لا بأس بها من غير النحاة ألقت بنفسها في هذا التيار من غير أن تكون على وعي تام بأبعاد المادة الموضوعية في النحو العربي أصولها وفروعها، وخلافات القدماء فيها وغير ذلك من قضايا النحو ومسائله، يضاف إلى ذلك كثرة المراكز العربية وغير العربية التي عُنت بالتيسير، ولم يكن بينها تنسيق أو اتصال، مثل: الوزارات والجامعات والمؤسسات العلمية والمجامع اللغوية وغير ذلك.

(1)- ينظر: هادي زهر، دراسات في اللسانيات، ثمار التجربة، ص 245. وينظر: حسن منديل العكيلي،

محاولات التيسير النحوي الحديثة، دراسة وتصنيف وتطبيق، ص 34.

(2)- ينظر: حسن منديل العكيلي، محاولات التيسير النحوي الحديثة، دراسة وتصنيف وتطبيق، ص 8.

الشَّاهِدُ الْقُرْآنِيُّ وَأَهْمِيَّةُ تَوْظِيفِهِ فِي تَيْسِيرِ تَعْلِيمِيَّةِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ
نَمَازِجٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ كِتَابِ "النَّحْوِ الْمَيْسَرِ وَشَوَاهِدُ الْقُرْآنِيَّةِ" لـ "عصام النَّجَّار"

وعلى الرغم من كثرة محاولات التيسير النحوي عند المحدثين، فإنَّه لم يُكتب لأكثرها النَّجَّاح وذلك لعدة أسباب أهمها⁽¹⁾:

1- اعتماد معظم المجددين على المختصرات النحوية المتأخرة عند حديثهم عن ضوابط المنهج وقواعد التوجيه في النظرية النحوية العربية القديمة، الشيء الذي أدَّى بهم إلى تشويه كثير من المفاهيم.

2- اقتران معظم محاولات تيسير النحو بنزعات إيديولوجية/ طائفية ضيقة، وهي من هنا دعوات غير نزيهة؛ لأنَّ هدفها البعيد هو إحداث قطيعة مع المرتكزات الفاعلة في الحضارة العربية الإسلامية، وهو الأمر الذي يجعل من هذه الدَّعوات تقابل بالرَّفْض.

3 - إنَّ توجُّه كل محاولة لتيسير النحو يتأسس على نوع الفكرة التي يحملها الدَّارسون حول مفهوم التَّيسير؛ بمعنى أنَّ التَّصوُّرات التي يحملها الميسرون حول مفهوم التَّيسير تؤثر سلباً وإيجاباً في جانبه الإجرائي.

4- بعض هذه الدَّعوات كان نزيها ومؤسسا علمياً ومنهجياً وهادفاً ثقافياً وحضارياً، ولكنَّها دعوات فردية/ أحاديَّة لم تستطع أن تخترق مجال المؤسسات العلمية التَّقليدية التي تتَّصف بالشرعية؛ كالمجامع اللُّغوية العربية على اختلافها، ومن ثَمَّ ظَلَّت هذه الأعمال رهينة إطارها الظَّرْفِي المحدود، ولم تؤثر في توجيه الثقافة النحويَّة التي لا تمتلك إلى حدِّ الآن الشرعيَّة العلميَّة إلى الثقافة اللِّسانية المعاصرة.

5- لم تدرس أزمة النحو الوظيفي في ظلِّ التَّعليميَّة؛ أي إنَّ المجددين لم يبحثوا عن حلٍّ لهذه المسألة في إطار تعليم اللغة ووقع عندهم خلط بين النُّحو العلمي والنُّحو التعليمي، وهم لم يستفيدوا من نتائج البحوث التي أُجريت في مجال اللِّسانيات وعلم تدريس اللُّغات. ثمَّ؛ إنَّ الذي يُجبل نظره في محاولات تيسير النحو العربي في العصر الحديث يدرك تمام الإدراك أنَّ هذه المحاولات « لا تخرج عن كونها نظرات اجتهادية في تفضيل مصطلحات نحوية تراثية على غيرها من المصطلحات التراثية أيضاً، وكذلك في إعادة

(1)- ينظر: فوزية دندوقة، (2013م)، محاولات تيسير النحو العربي، عرضٌ وتقويم، منشورات مخبر

اللِّسانيات واللغة العربية، بسكرة، ع1، ص84-85.

التبويب والتصنيف، وأنها نظرات إلى التراث النحوي نظرةً واسعة دون أن تلتزم بمذهبٍ نحويٍّ معيّن، وذلك في ضوء حاجات التعليم في الوقت الحاضر والمشكلات اللغوية التي يواجهها»⁽¹⁾.

كما يُمكن تصنيف محاولات التيسير النحوي في العصر الحديث إلى ثلاثة أصنافٍ وهي كالتّالي⁽²⁾:

1- صنف يزدري العربية إلى درجة أنّ مقترحاته تسعى إلى تغييب النموذج الأصلي، ورأي هذا الصنف مردود ولا حاجة للعربية ولا لأهلها إليه.

2- صنف همّه أن يكسو العربية بكساءٍ عصري حديث، وإن كان هذا الكساء غريبًا عن الأصل، لذا نجدهم يطبقون النظريات الغربية على النصوص العربية قصرًا، وهو ما نتج عنه مجموعة من التصورات الخاطئة لكثير من القضايا النظرية.

3- وصنف آخر يتلمس في التراث ما يُحاول به إسعاف هذه اللغة بينه وبين إفراز الدرس العربي، مستأنسٌ في ذلك بملامح النظرية الغربية في المصنفات العربية، فيأخذ بعض جزئياتها، أو بعض خطوطها العريضة، فينفذ الغبار عنها للكشف عمّا بينها وبين الحداثة من نقاط تقاطع، ومحاولات هذا الصنف- على الرغم من أهميتها وجديتها- إلا أنّها لا تكفي بأيّ حالٍ من الأحوال لتغيير واقع اللغة العربية.

4- تيسير تعليمية النحوي العربي في ضوء الشّاهد القرآني عند عصام النّجار:

ورث دارسو النّحو العربي في العصر الحديث- ومن بينهم عصام النّجار- تراثًا نحويًا ضخمًا وثّرًا خلفه النّحاة العرب القدامى، وهو تراثٌ يتّصف- من ناحية- بشمولية في استقصاء مختلف الموضوعات والظواهر النّحوية، في إطار ما يسمّى بـ "الحد الزمني" الذي وضعه النّحاة لعصور الاحتجاج، كم يتّسم- من ناحية ثانية- بعكوف منتجيه على

(1)- عبد الكريم خليفة، تيسير العربية بين القديم والحديث، ص 87.

(2)- ينظر: فوزية دندوقة، محاولات تيسير النحو العربي، عرضٌ وتقويم، مرجع سابق، ص 85-86.

الشَّاهِدُ الْقُرْآنِيُّ وَأَهْمِيَّةُ تَوْظِيْفِهِ فِي تَيْسِيرِ تَعْلِيمِيَّةِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ
نَمَاجٍ مُخْتَارَةٍ مِنْ كِتَابِ "النَّحْوِ الْمَيْسَرِ وَشَوَاهِدُ الْقُرْآنِيَّةِ" لـ "عصام النَّجَّار"

الرس المفصل لعدد هائل من الظواهر والمجالات الصُّغرى المتصلة بأنماط الجملة ووظائف الأدوات المسهمة فيها⁽¹⁾.

وقد بيّن المؤلف- حفظه الله - في مقدّمة كتابه القيّم (النَّحْوُ الْمَيْسَرُ وَشَوَاهِدُ الْقُرْآنِيَّةِ) أهميّة علم النَّحْو- وما أدراك ما علم النَّحْو- ويَبَيّن جليل نفعه في الشَّريعة والعقيدة الإسلاميّتين؛ فبالنَّحْوِ: « يسلم الكتابُ والسنة من عادية اللّحن والتأليف والتّحريف، وهما موئل الدّين وذخيرة المسلمين، فكان تدوينه عملاً مبروراً وسعياً مشكوراً في سبيل الدّين مشكوراً، وبه يستبين سبيل العلوم على تنوّع مقاصدها، وتفاوّق ثمارها، فإنّ الطّالب لا يسلكها على هدى وبصيرة إلّا إذا كانَ على جِدٍّ من هذا العلم موفّور⁽²⁾».

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها النّحاة مع مِ الأيّام وكرّ السّنوات والدُّهور، إلّا أنّ البلاد العربيّة لا تزال « تشكو مُرَّ الشّكوى من أنّ النّاشئة فيها لا تحسن النَّحْو، أو بعبارة أخرى لا تحسن النّطق بالعربيّة نطقاً سليماً، وكأنّما أُصِبت ألسنتها بشيءٍ من الاعوجاج، والانحراف، جعلها لا تَسْتَطِيع أداء العربيّة أداءً صحيحاً⁽³⁾».

ويُرجعُ المؤلّفُ سبب هذا الاعوجاج وهذا الانحراف والرّطانة واللّكنة إلى « قصور النَّحْوِ التّعليميّ الذي يُقدّم للنّاشئة عن الإحاطة بصيغ العربيّة وأوضاعها، ومن التّوسّع في صيغ واستعمالات افتراضيّة، يحقّزان الهمم إلى تيسير النَّحْو وتبسيطه⁽⁴⁾».

كما أنّ تيسير تعليم النَّحْو- حسب المؤلّف- كانَ واجباً حتميّاً، بل « وسيظلُّ هذا الواجب قائماً في الحاضر والمستقبل، كما كان في الماضي، بل لقد أصبح أكثر ضرورة

(1)- ينظر: سامي سليمان أحمد، (2003م)، البداية المجهولة لتجديد الدّرس النَّحْوي في العصر الحديث- القرن الثامن عشر وكتاب بحث المطالب، مج6، ع4، مجلة علوم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص263.

(2)- عصام أحمد بدر النّجار، (1438هـ/2016م)، النَّحْو الميسر وشواهده القرآنيّة بين النّظرية والتّطبيق، ج1، (د ط)، دار التّقوى للطّبع والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، ص5.

(3)- المرجع نفسه، ج1، ص6.

(4)- عصام أحمد بدر النّجار، النَّحْو الميسر وشواهده القرآنيّة بين النّظرية والتّطبيق، ج1، ص6-7.

وحاجة في وقتنا الحاضر لكثرة ما يتحمّل أبناؤنا في تعلّم اللغات الأجنبية، وتعلّم كثرة من العلوم الرياضيّة وغير الرياضيّة مما يثوّدُها ويقصم منها الظهور»⁽²⁾.

وقد انتقى الباحث الشواهد القرآنية في كتابه؛ بعناية فائقة وتدبر وروية، كما حاول المؤلف الحضيف الاختيار من كثيرها وجمها تلك الشواهد التي تحوي كلّ متفرقات الظاهرة اللغويّة وتنوعاتها، وهي أحياناً من الآيات القصار أو بعض الآيات؛ إذ استشهد في تعريفه "الكلام"⁽³⁾ الذي هو كلّ قول مفيد يُعطي فائدة يحسن السكوت عليها- بالآيتين الآتيتين:

• ﴿اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الشورى / 15].

• ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران/ 19].

ولم يُخرَج⁽⁴⁾ المؤلف الآيتين السابقتين؛ بل ترك تلك المهمة على عاتق القارئ؛ كي يبحث عنهما في كتاب الله العزيز فيحوز أجر التلاوة ويظفر بفائدة البحث.

(2)- المرجع نفسه، ج1، ص7.

(3)- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص9.

(4)- يقصد بالتخريج: "إيجاد وجه مناسب للمسألة، أو تعليل يُخرجها بما فيها من إشكال". ينظر: إميل بديع يعقوب، (1427هـ/ 2006م)، موسوعة علوم اللغة العربية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص282. كما يقصد بالتخريج في الاصطلاح النحوي: "تبرير لإشكال أو دفع له". ينظر: محمد سمير نجيب اللبدي، (1405هـ/ 1985م)، معجم المصطلحات النحويّة والصرفيّة، (د، ط)، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت، ص74. ويستعمل النحاة هذا اللفظ في التبرير والتعليل وإيجاد الوجوه المناسبة للمسائل الخلافية بخاصة، ومن أمثلته، أنّ البصريين يمنعون أن يلي "كان" معمول خبرها، وهذا فهم يمنعون في: "كَانَ زَيْدٌ مُكْرَمًا مُحَمَّدًا"، "كَانَ مُحَمَّدًا زَيْدٌ مُكْرَمًا". أمّا الكوفيون فأجازوا ذلك واحتجوا لمذهبهم بقول الفرزدق:

قَنَافِدُ هَذَا جُونٌ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ بِمَا كَانَ إِيَّاهُمْ عَطِيَّةٌ عَوْدًا

= يُنظر: ديوان الفرزدق، (2004م)، تحقيق: مجيد طراد، (د، ط)، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، ص199.

حيث نجد لفظ إِيَّاهُمْ قد وقع بعد "كان" رغم أنّه مفعول به للفعل "عَوَّد" الذي يفترض فيه أن يكون خبراً لـ "كان" حسب الكوفيين، وقد "خرج- عند البصريين- على زيادة كان، أو إضممار اسم مراد به الشّأن، أو راجع إلى ما، وعليه فعطيّة مبتدأ". الأشموني(نور الدين أبو الحسن)، (1995م)، شرح

وفي "باب الاسم" استشهد للتَّنوين- الذي هو نون ساكنة تلحق آخر الاسم لفظاً لا كتابة- بأية حوت كل أقسام تنوين التَّمكين⁽¹⁾ في قوله جلَّ من قائل:

- ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد/14-16].

وفي الاستشهاد لتنوين المقابلة⁽²⁾ أورد الآية الآتية:

- ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحریم/5].

وقد حوت الآية الكريمة سبعة نماذج كاملة حتى تُرسخ الفكرة في ذهن المتعلِّم. ولا جرم أنَّ كثرة النِّماذج وتنوعها يزيد من احتمالات الوقوف على ناصية الفهم، وطَرْدُ تَهْمِ الخَطْلِ والوَهْمِ والخَلْطِ، فما بالك إذا كانت من الكتاب العزيز الذي هو خير كلام، وفيه أبلغ لفظ، وأفصح بيان، وأقوم تبيان.

وينبغي في إطار نهج التيسير أن يتَّسم خطابُ المؤلِّف بالسهولة، والسَّلاسة في البَسْطِ والشَّرْحِ؛ لاستيفاء جوانب الباب والفصل، ثمَّ هو مطالبٌ بالتَّلَطُّفِ، وإشراك القارئ في عرض المحتوى؛ ولذلك فالمؤلف يستخدم أفعال صيغتها على وزن "فاعل" في مواضع من كتابه، فنلفيه في باب "الإعراب والبناء" يورد الشَّواهد القرآنية الآتية:

- ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور/35].
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس/44].
- ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ [إبراهيم/12].

ثم شرح ذلك بقوله: «لاحظ أنَّ لفظ الجلالة في الآية الأولى مرفوع؛ لأنَّه مبتدأ وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، ولكنه منصوب في الآية الثانية لتغيُّر موقعه

الأشْموني على ألفية ابن مالك، ج1، تحقيق: محمد معي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، ص116.

(1)- ينظر: عصام أحمد بدر النجَّار، النَّحْوُ الْمَيْسَرُ وَشَوَاهِدُ الْقُرْآنِيَّةِ بَيْنَ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِ، ج1، ص11.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص12.

الإعرابي حيث صار اسماً لـ"إن"، فتغيّرت العلامة إلى الفتحة، وفي الآية الثالثة مجرور؛ لأنّ الموقع الإعرابي تغيّر؛ حيث دخل عليه حرف الجرّ "على" فصار مجروراً وعلامة جرّة الكسرة⁽¹⁾.

والذي يلاحظ من الأمثلة السالف ذكرها؛ أنّه قصد إيراد شواهد من سور مختلفة لا من سورة واحدة، ثمّ إنّ الكلمة التي استشهد بها في التمثيل لأحوال الإعراب كلمة عظيمة ثقيلة هي لفظ الجلالة، والآية الأولى تصف نور الله الذي هو هدي ورشاد للعباد، والثانية تتحدّث عن عدله، والثالثة تخصّص التوكّل عليه وحده دون سواه. ولك أن تستنتج القصد وتظفر بالهدف.

كما حوى المؤلّف تدريبات ماتبعة تناولت شواهد من الذّكر الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يكفي بسط الدّرس وشرحه وختمه بمخططات توضيحية؛ وإنّما يستلزم الأمر قياس مقدار استيعاب المتعلّم لما قدّم له، واستدّار مقدار فهمه باختباره في تمارين مدارها النّص القرآني استكمالا لغاية جعله محور الاستشهاد، ففي باب المثني طُلب من القارئ أن يُعرب الأسماء التي وردت بصيغة المثني في الآيات الآتية⁽²⁾:

- ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [القصص/32].
 - أ ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾ [البلد/8].
 - أ ﴿ هَذَا خَصَمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج/19].
 - أ ﴿ كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ أَتَتْ أَكْلَهَا ﴾ [الكهف/33].
 - أ ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ [المائدة/23].
 - أ ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [النحل/51].
- وتضمّنت الآيات نماذج متنوعة من المثني والمُلحق بالمثني، ممّا يحيل إلى أنّها قد أنقِيت بعناية فائقة، وتمّ اصطفاؤها بدقّة متناهية.

ونظرا للامتزاج الواضح بين علمي النّحو والصّرف، فالمتقدّمون - من سدنة اللّغة والنّحو - لم يفصلوا بينهما؛ بل درسوا مباحثهما جميعا في مؤلّف واحد، حتّى جاء المازني

(1)- عصام أحمد بدر النّجار، النّحو الميسّر وشواهد القرآنيّة بين النّظرية والتّطبيق، ج1، ص21.

(2)- المرجع نفسه، ج1، ص32.

الشَّاهِدُ الْقُرْآنِيُّ وَأَهْمِيَّةُ تَوْظِيْفِهِ فِي تَيْسِيرِ تَعْلِيمِيَّةِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ
نَمَازِجٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ كِتَابِ "النَّحْوِ الْمَيْسَرِ وَشَوَاهِدُ الْقُرْآنِيَّةِ" لـ "عصام النَّجَّار"

(ت247هـ)، وألّف كتاباً مفرداً في التّصريف. وإنّما ذكرنا ذلك للإحالة إلى أنّ الشّواهد ينبغي أن تستوفي جمع متطلبات المبحث، ولنا في مبحث الجمع مثال واضح يبيّن، فهو ينتمي من جهة إعرابه إلى علم النّحو ومن جهة صياغته إلى علم الصّرف. وقد حدّق صاحب الكتاب هذا، فجاءت أمثله متّسقة موضّحة، يقول موضّحاً: «يرفع جمع المذكر السّالم بالواو، وينصب ويجر بالياء»، ويستشهد بالآيتين الآتيتين⁽¹⁾:

- أْ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ [المؤمنون/1].
 - أَا وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران/134].
- ثمّ يوضّح في ما اعتمده كثيراً في كتابه وسّمّاه "الملاحظة" –التي هي ذات أهميّة كبيرة- أنّه لجمع الكلمة جمعاً مذكّراً سالماً ينبغي أن يكون لها مفرد من لفظها ويكون سالماً، علماً، مذكّراً، عاقلاً، خالياً من تاء التانيث⁽²⁾، ويستشهد في حديثه عن الملحق بجمع المذكر السالم بالآيتين الآتيتين:

- أْ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [النور/ 22].
- أْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ [الزمر/21].

لاحظ أنّ آيتي سورتي المؤمنين وآل عمران متباعدتان (الآية 1، و 134)، أمّا الآيتان في سورتي النور والزمر فمتقاربتان (22، و 21)، ولا نظنّ الأمرود جرافاً؛ بل جنح المؤلّف إلى التّنوع في أسماء السّور (طوال، مفصّل، مثاني، مؤمنون)، حتّى يقرب بين كتاب الله وطالب علم النّحو، ولسان حاله يقول: انظروا هذا كتاب ربكم يعجّ بالشّواهد الكثيرة في كلّ سورة.

ونظراً لاختلاف القراءات القرآنية- التي هي أوجه أداء النّص القرآني الثّابت المحفوظ- كان لزاماً على المؤلّف أن يبيّن نوع القراءة التي توافق المبحث الذي يقدّمه، فقد استشهد لعمل "إذن" النّاصبة للفعل المضارع⁽¹⁾ بالآيتين الآتيتين:

(1)- عصام أحمد بدر النّجّار، النّحو الميسّر وشواهد القرآنيّة بين النّظرية والتّطبيق، ج1، ص33.

(2)- المرجع نفسه، ج1، ص33.

(1)- ينظر: عصام أحمد بدر النّجّار، النّحو الميسّر وشواهد القرآنيّة بين النّظرية والتّطبيق، ج1، ص72.

• أ وَإِنْ كَادُوا لَيْسْتَغْفِرُواكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُوا خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء/76].

• أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُوا النَّاسَ نَقِيرًا [النساء/53].

ويعقب قائلًا أسفل كلّ آية من الآيتين: « في قراءة النصب»⁽²⁾.

ولم يبيّن المؤلف من قرأ بالنصب. قال العلامة ابن عطية (ت546هـ) في توجيه قراءة النصب في سورة النساء: « وقرأ ابن مسعود ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُوا﴾ بغير نون على إعمال ﴿وَإِذَا﴾، والمصحف على إلغائها، والوجهان جائزان وإن كانت صدرا من أجل دخول الفاء عليها»⁽³⁾، وفي توجيه قراءة النصب في سورة الإسراء يقول ابن عطية: « في مصحف عبد الله بن مسعود ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُوا﴾ بحذف النون وإعمال ﴿وَإِذَا﴾، وسائر القراء ألغوها وأثبتوا النون»⁽⁴⁾.

كما جَنَحَ المؤلف في بعض الأحيان إلى وضع سطر تحت الكلمة – أو الكلمتين أو أكثر- المقصودة بالكلام والشرح، مثل ما فعل في حديثه عن الفاء التي تنصب الفعل المضارع في قوله تعالى:

• أَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا [فاطر/36].

فقد وضع سطرًا تحت جملة "لا يُقضى"⁽¹⁾؛ ليشير إلى النهي المحض الذي أحلَّ الفاء سببًا ناصبة للفعل المضارع، ولم يفعل الأمر نفسه في حديثه عن الطلب المحض (النهي، الاستفهام، التمني)⁽²⁾؛ حيث استشهد بالآيات الآتية:

• أَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا [النساء/73].

• وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي [طه/81].

(2)- المرجع نفسه، ج1، ص 73.

(3)- ابن عطية الأندلسي (القاضي أبو محمّد عبد الحق بن غالب ت546هـ)، (1422هـ/2001م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج2، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمّد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص67.

(4)- المصدر نفسه، ج3، ص457.

(1)- ينظر: عصام أحمد بدر النجار، النحو الميسر وشواهد القرآن بين النظرية والتطبيق، ج1، ص76.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص77.

- أ^١ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا [الأعراف/53].
ففي هذه الشواهد لم يضع المؤلف سطرا تحت التراكيب التي جاءت طلبا محضا، ومن المحتمل- تبعا لهذا- أنه :المؤلف: لا يلتزم طريقة واحدة في عرض المادة النحوية، أو بدا له أن المتعلم عالم بهذه الأساليب، ولن يخطئ فيها، ويخلط بينها.
وبالنظر إلى تعدد الشواهد القرآنية الواردة في الكتاب وتتابعها، وكون المتعلم غير متمرس في هذا العلم: لأن الكتاب موجه بالدرجة الأولى للمبتدئين، وغرضه التيسير، فقد يخلط المتعلم بينها ويسيء الفهم، لذلك لا بدّ من الإحالة إلى الشاهد المقصود شرحه، ففي حديثه عن "لام الطلب"⁽³⁾ يورد الآية الآتية:
• أ^٢ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ [الطلاق/7].
ويشرحها باقتضاب، ثم يستشهد بقوله تعالى:
• أ^٣ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ العنكبوت/12].
ثم يقول مبيّنا: «فَلَامَ الطَّلَب في الآية السابقة جاءت مبنية على السكون: لأنها في درج الكلام؛ أي في أثنائها؛ حيث لم يبدأ بها الكلام، بل سبقها حرف الواو، والفعل المضارع "نحمل" مجزوم بعد لام الطلب، وعلامة جزمه السكون؛ لأنه صحيح الآخر»⁽¹⁾.
ولهذا الشرح الجيد، والإحالة إلى الآية المقصودة موضع الاستشهاد فائدة عظيمة عميمة على المتعلم الذي يطلب التيسير حتى يقف على المقصود والمنشود بالتحديد، ولا يذهب ذهنه إلى غيره، فإذا وقف على شاهد مماثل لهذا الشاهد ميّزه وعرفه.
وكأنّي بالمؤلف يريد أن يقول للمتعلّم المريد المستزيد أن الشواهد في بعض الأبواب والمواضع كثيرة، وأنا أقدم لك بعضها وأنت إسع لتظفر بغيرها، فهذا المصحف أمامك، افتحه واقراً وقِفْ وتدبّر وتمعّن، فقد وظّف "من التبعية" في تناوله لمبحث لا الناهية-التي يُطلب بها ترك الفعل أو الكف عنه- يقول: «ومن شواهد»⁽²⁾؛ أي إنّ هذا غيض من فيض، والشواهد التي أوردتها مدارها إلى قوله تعالى في الآيات الآتية:

(3)- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص83.

(1)- عصام أحمد بدر النجار، النحو الميسر وشواهد القرآنية بين النظرية والتطبيق، ج1، ص84.

(2)- المرجع نفسه، ج1، ص85.

- أ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة/40].
- رُبَّنَا لَا تُؤَاخِذُنَا إِنْ نُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا [البقرة/286].
- أ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ [الحشر/19].

والمؤلف هنا أيضا لم يهتم بترتيب الآيات حسب ترتيب السُّور في المصحف، بما يحيل إلى أنّه لم يجعل هذا الأمر في صلب اهتماماته في كتابه الميسر؛ وإنّما موطن اهتمامه كفاية الشّاهد الاستدلالية للقضيّة النّحويّة المراد تعليمها.

وعلى الرّغم من أنّ المؤلّف يهدف بالدرجة الأولى إلى حشد ما أمكنه من الشّواهد القرآنيّة في كتابه هذا، إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من إيراد شواهد من الحديث النّبويّ الشّريف أحيانا، كما صنع في التّدريب المخصّص لمبحث نصب الفعل المضارع⁽³⁾؛ إذ أورد ستّة شواهد قرآنيّة، ختمها بشاهد من الحديث النّبويّ الشّريف، وهو قول النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم:

- ﴿ إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يَصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ ﴾ (رواه الإمام مسلم).
- ويلفت المؤلّف - بتعليقاته - انتباه القارئ إلى ضرورة التّأني في قراءة الشّاهد، وفي هذا تحذير ضمني من مغبّة الوقوع في الخطأ النّاتج عن تقارب بعض المباحث واشتباهاها، فيستشهد بقوله عزّ من قائل:

- أ وَإِنْ طَلَقْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ [سورة البقرة/237].

ثمّ يعقّب موضّحا ذلك: «ظاهر قوله " أن يعفون " يوحى بأنّ الفعل قد ثبتت فيه النّون مع أنّه مسبوق بعنصر من عناصر نصب الفعل المضارع، وهو "أن"، غير أنّ من يتأمل الآية يجد أنّ هذه النّون ليست علامة رفع؛ وإنّما هي نون النّسوة، ولذلك فإنّ هناك فرق بين أن تقول:

- هُمْ يَعْفُونَ عَنِ الْمُسِيءِ

- هُنَّ يَعْفُونَ عَنِ الْمُسِيءِ»⁽¹⁾.

(3). ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 89.

(1). عصام أحمد بدر النّجار، النّحو الميسر وشواهد القرآنيّة بين النّظريّة والتّطبيق، ج 1، ص 94.

الشَّاهِدُ الْقُرْآنِيُّ وَأَهْمِيَّةُ تَوْظِيْفِهِ فِي تَيْسِيرِ تَعْلِيمِيَّةِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ
نَمَازِجٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ كِتَابِ "النَّحْوِ الْمَيْسَرِ وَشَوَاهِدُ الْقُرْآنِيَّةِ" لـ"عصام النَّجَّار"

ومن الدلائل البيّنة على اهتمام المؤلف بتقصّي وعرض أكبر عدد ممكن من الشواهد القرآنيّة وتوظيفها والاستفادة منها في هذا الكتاب، وكذا علمه بأهميّة الإعراب في علم النحو- إذ هما وجهان لعملة واحدة- فقد حرص على أن تكون التدريبات مكثّفة أحيانا حتى تتحقّق من ورائها الغاية المرجوّّة، ألا وهي تمكّن المتعلّم من معرفة موقع العناصر المختلفة، وتحديد علاماتها الإعرابيّة، وبالتالي الوقوف على المعنى الذي هو أشرف مقصود. فنجده يُورد عشر آيات كاملة في التّدريب الذي ختم به باب الإعراب الظّاهر والمقدّر⁽²⁾، نذكر منها قوله تعالى:

- أأَ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ [الإسراء/36].
 - أأَ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي [الإسراء/85].
 - أأَ قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ [الإسراء/96].
 - أُأَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ [يوسف/40].
 - وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [فصلت/96].
- والمؤلف يعرب موضع الاستشهاد في أحواله المختلفة، حتّى يُجلي ما غمض، ويُيسّر ما يُستوعز ويُستصعب، ويقدم التّمودج للمتعلم، ففي قوله عزّ من قائل:
- أُأَفْقَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكَ [الشعراء/21].
- يقول: «فالأفعال (فررت، خفت، فعلت)، مبنية على السكون لاتّصالها بتاء الفاعل، وتاء الفاعل ضمير مبني في محلّ رفع فاعل»⁽¹⁾.
- وفي تعليقه عن قوله تعالى: أأَ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ [يوسف/31].
- يقول المؤلف: «فالأفعال (رأيتُهُ، أَكْبَرْتُهُ، قَطَّعْنَ، قُلْنَ)، أفعال ماضية مبنية على السكون لاتّصالها بنون اليسوة»⁽²⁾.

(2)- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص109.

(1)- عصام أحمد بدر النّجار، النّحو الميسر وشواهد القرآنيّة بين النّظريّة والتّطبيق، ج1، ص117.

(2)- المرجع نفسه، ج1، ص118.

في ختام هذا البحث؛ والذي نرجو أن نكون قد وُفقنا فيه؛ نشير إلى الأهمية البالغة لهذا الكتاب التّعليميّ الماتع - حقيقة- والذي اعتمد فيه صاحبه؛ بشكلٍ أساسيٍّ؛ على توظيف الشّاهد القرآني- ما أمكنه ذلك- في عرض القواعد النّحويّة والصّرفيّة للغة العربيّة في أيسر صورة، وبأسهل لغة.

روافد البحث:

- 1- الاتجاهات الحديثة في النَّحو (من أعمال مؤتمر مفتشي اللغة العربية)، دار المعارف، مصر، 1985م.
- 2- الأشموني(نور الدين أبو الحسن)، (1995م)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 3- إميل بديع يعقوب، (1427هـ/2006م) ، موسوعة علوم اللغة العربية، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.
- 4- أنيس فريحة، (1982م)، تبسيط قواعد اللغة العربية وتبويبها على أساسٍ منطقيٍّ جديدٍ، (د، ط)، بيروت، لبنان.
- 5- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت255هـ)، (1384هـ/1965م)، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ج1، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، القاهرة، مصر.
- 6- حازم سليمان الحلي، (1996م)، تيسير النَّحو إلى عصر ابن مضاء القرطبي، مجلة اللِّسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، جامعة الدول العربية، ع41.
- 7- حسن منديل العكيلي، (2012م)، دراسات نحوية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 8- حسن منديل العكيلي، (2012م)، محاولات التيسير النَّحوي الحديثة، دراسة وتصنيف وتطبيق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 9- خلف الأحمر(خلف بن حيان البصري ت180هـ)، (1381هـ/1961م)، مقدمة في النَّحو، تحقيق: عز الدين التَّنُوخي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، سوريا.
- 10- ديوان الفرزدق، (2004م)، تحقيق: مجيد طراد، (د، ط)، دار الكتاب العربي، بيروت.

- 11- ساطع الحصري، (1958م)، آراء وأحاديث في اللغة والأدب، (د، ط)، دار العلم، بيروت، لبنان.
- 12- سامي سليمان أحمد، (2003م)، البداية المجهولة لتجديد الدّرس النّحوي في العصر الحديث- القرن الثامن عشر وكتاب بحث المطالب، مج6، ع4، مجلة علوم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- 13- عباس حسن، (1966م)، اللّغة والنّحو بين القديم والحديث، دار المعارف، (د، ط)، مصر.
- 14- عصام أحمد بدر النّجار، (1438هـ/2016م)، النّحو الميسّر وشواهد القرآنيّة بين النظريّة والتّطبيق، ج1، (د ط)، دار التّقوى للطّبع والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر.
- 15- ابن عطية الأندلسي (القاضي أبو محمّد عبد الحق بن غالب ت546هـ—)، (1422هـ/2001م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمّد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 16- عبد الرحمن الحاج صالح، (1973/1974م)، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات (مجلة في علم اللسان البشري)، الجزائر، ع4.
- 17- عبد الكريم خليفة، (1407م/1986م)، تيسير العربية بين القديم والحديث، ط1، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن.
- 18- فوزية دندوقة، (2013م)، محاولات تيسير النحو العربي، عرض وتقويم، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، بسكرة، ع1.
- 19- محمد سمير نجيب اللّبيدي، (1405هـ/1985م)، معجم المصطلحات النّحويّة والصّرفيّة، (د، ط)، مؤسسة الرّسالة، دار الفرقان، بيروت، لبنان.
- 20- ابن مضاء القرطبي (أحمد بن عبد الرحمن ت592هـ)، (1366هـ/1947م)، الرّد على النّحاة، تحقيق: شوقي ضيف، ط1، دار الفكر العربي، مطبعة لجنة التّأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر.

الشَّاهِدُ الْقُرْآنِيُّ وَأَهَمِّيَّةُ تَوْظِيفِهِ فِي تَيْسِيرِ تَعْلِيمِيَّةِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ
نَمَازِجٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ كِتَابِ "النَّحْوِ الْمُبَسَّرِ وَشَوَاهِدُهُ الْقُرْآنِيَّةُ" لـ "عصام النَّجَّار"

- 21- مهدي المخزومي، (1377هـ/1958م)، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللّغة والنّحو، ط2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
- 22- نعمة رحيم العزاوي، (1989م)، جهود الدكتور الجوّاري في تجديد النّحو وتيسير ج2، مجلة الضّاد، كانون الثّاني.
- 23- هادي نهر، (1432هـ—)، دراسات في اللّسانيات: ثمار التّجربة، (د، ط)، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن.
- 24- ياسين أبو الهيجاء، (1429هـ—/2008م)، مظاهر التّجديد النّحوي لدى مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة حتى عام1984م، ط1، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، إربد، عمان، الأردن.